المصدر: الاهرام
التاريخ : ٢٠٠٨/٦/٢١

الهروب إلى الطمأنينة !

★ الأنبياء هم رسل الخير والحق والعدل والفضيلة إلى كل البشر.. وهم أناس مثلنا.. رجال يمشون فى الأسواق ويأكلون ويشربون ويعملون ويعرقون ويتزوجون وينجبون.. لا فرق بيننا وبينهم.. إلا أن الله تعالى قد اختارهم ليكونوا رسله إلى الناس..

رسله بالخير والحق والعدل والتشريع..

ولقد اختارهم الله - كما يقول الزميل الكبير أحمد بهجت - لأنهم أفقر البشر وخير البشر.. نسخة بشرية شفافة منتقاة بلا أدران.. بلا ثقوب وبلا عيوب.. نموذج بشرى لا يتكرر ولم يتكرر.

ولقد اخترنا اليوم نبيا من أنبياء الله اسمه المسيح عيسى ابن مريم كلمة الله فى الأرض..

وقد تسألون: لماذا عيسى ابن مريم بالذات؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وجوابنا: لأنه فى أحد أيام هذا الشهر يونيو.. المقابل له شهر بشنس فى الأشهر القبطية.. كما يقول «السنكنكسار» وهو السجل اليومى للمسيحية على الأرض يكتبه الرهبان والقساوسة منذ نزل المسيح عيسى ابن مريم طاهرا مطهرا إلى الناس فى بيت لحم قبل ألفى عام تزداد ثانية.. حتى يومنا هذا.. وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

جاء عيسى راكبا حمارا مع أمه مريم اطهر نساء العالمين.. برفقة يوسف النجار راعى الاثنين النبى وأمه.. إلى أرض مصر.. وأمضى بها مايزيد على اربع سنوات كما كشف لنا الخبر الذى نشرته «الأهرام» على صفحتها الأولى منذ عشر سنوات بالضبط. فى أول اعتراف غربى برحلة كلمة الله إلى أرض الأنبياء والرسالات التى اسمها مصر:

●● فى مفاجأة علمية وتاريخية نشرت جامعة كولون بألمانيا - لأول مرة - بردية أثرية ترجع إلى القرن الرابع الميلادى، تتحدث عن فترة وجود السيد المسيح والعائلة المقدسة فى مصر، مؤكدة أن طفولة السيد المسيح فى مصر استمرت ثلاث سنوات وأحد عشر شهرا، وهى الفترة التى كانت محل خلاف وقدرها بعض العلماء بسنة واحدة بينما قدرها آخرون بأكثر من ذلك.

والبردية التاريخية مكتوبة باللهجة القبطية الفيومية نسبة إلى منطقة الفيوم وطولها ٣١,٥ سم وعرضها ٨,٤سم.

وقد قال عالم القبطيات الدكتور جودت جبرة إن هذه البردية تشكل أهمية علمية وتاريخية كبيرة لأنها لا تشير إلى فترة وجود السيد المسيح فقط فى مصر، وإنما تتحدث عن مصر، وتصفها بأنها أعظم أرض فى العالم، وأن نيل مصر لم ينضب طوال الدهر، وإن ثمارها أطيب ثمار - وأضاف أن عالمة الآثار جيزا شنكل ابنة عالم القبطيات الألمانى الكبير شنكل نشرت هذه البردية الموجودة فى إحدى مكتبات جامعة كولون، وقالت: إن البردية تؤكد أن البركة حلت بمصر، وأن شهر بشنس هو أكثر شهور السنة بركة، ولذلك نجد الكنيسة القبطية تحتفل فى اليوم الرابع والعشرين منه (يوافق يوم ١ يونيو) كل عام بذكرى دخول العائلة المقدسة إلى مصر.

قبل أن تبدأ الرحلة العجيبة المثيرة للخيال والجدل وللفكر.

إليكم هذا المشهد النورانى القرآنى الانجيلى.. كما رسمه لنا بريشته لا بقلمه كاتبنا الكبير أحمد بهجت:

انحدرت الشمس نحو الغرب.

حركت الرياح الهواء المعطر حول أشجار التفاح، وأزهار البرتقال.. وانحدر العطر وبدأ رحلته إلى محراب مريم.. وهناك تسلل من نوافذ المحراب ونشر أجنحته حول العذراء الخاشعة التى تصلى بغير أن يسمع صوتها أحد. ولحست «مريم» أن الجو يمتلئ برائحة العطر فجأة.. وصلت إليها رسالة الطبيعة، فابتسمت وعادت تنخرط فى صلاة عميقة تؤدى بها الشكر لله.. وحط أحد طيور الكناريا على شباك المحراب.. رفع منقاره لأعلى فى اتجاه الشمس وبسط جناحيه، ونفض المياه التى استحم فيها فتطاير الرذاذ الخفيف حوله.. وتنكرت «مريم» أنها نسيت أن تسقى شجرة الورد التى نبتت فجأة وسط صخرتين خارج المسجد.. أنهت «مريم» صلاتها، وخرجت من المحراب فى طريقها إلى الشجرة.. لم تكد تنتهى للخروج حتى نادتها الملائكة:

«يا مريم إن الله أصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين».. سورة آل عمران.

توقفت «مريم» وازداد شحوب وجهها. أضاء المحراب بكلمات الملائكة نوع

من الضوء تبدو الشمس إلى جواره مثل شمعة مطفئة.

إن «مريم» تشعر فى الأيام الأخيرة بتغيير يشمل روحها وجسمها كله.. ليست عندها مرآة لتنظر فيها، لكنها تحس أن لون دم القوة والشباب ينسحب تاركا مكانه للون أكثر طهرا وأعمق أصالة.. إنها تحس الشحوب رغم أنها لا تراه.. وتشعر بضعف بشرى وقوة غير عادية، وكلما زاد جسمها نحولا زادت روحها قوة.. ملأها هذا الاحساس بالتواضع والعظمة.. وتسلل إليها الاشفاق من المسئولية العظيمة التى القيت على كتفيها الرقيقتين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

«وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» سورة آل عمران.

بهذه الكلمات البسيطة فهمت مريم أن الله يختارها، ويطهرها ويختارها ويجعلها على رأس نساء الوجود.. هذا الوجود، والوجود الذى لم يخلق بعد.. هى أعظم فتاة فى الدنيا وبعد قيامة الأموات وخلق الآخرة.. وعادت الملائكة تتحدث:

«يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين» سورة آل عمران.

كان الأمر الصادر بعد البشارة أن تزيد من خشوعها، وسجودها وركوعها لله.

ونسيت مريم شجرة الورد وعادت للصلاة..

لم تعد تحس أنها صغيرة وضعيفة وتقف وحدها فى المحراب.. إنما احست أنها تضم قرص الشمس فى قلبها، وتشرب خصلات شعرها من ندى الحقول، وأحست أن الرحيق الذى يصعد فى سيقان أشجار التفاح يصعد فى عروقها، وتجمعت كل دموع الأطفال الأبرياء فى الدنيا وانحدرت دمعة واحدة كبيرة من عين العذراء وهى تصلى.

كانت دمعتها الوحيدة تضم مذاق اللبن وطراوة النسيم ومرارة أحزان البشر..

.....

.....

وملأ قلب مريم إحساس مفاجىء بأن شيئا عظيما يوشك أن يقع كانت تحس تلك إحساسا غامضا منذ أيام، لكن إحساسها يتأكد الآن..

انحدرت الشمس نحو فراشها واستيقظ الليل.

وجلس القمر على عرشه الفضى فى السماء، وحوله رعيته من السحاب الجميل الأبيض..

وجاء منتصف الليل ومريم منهمكة فى الصلاة. ثم أنهت صلاتها وتذكرت شجرة الورد فحملت بعض المياه فى وعاء وخرجت لتسقيها.

كانت شجرة الورد تنبت بين صخرتين فى مكان يبعد عن المسجد خطوات.. وكان المكان مهجورا من الناس ولا أحد يقترب منه.. كان المعروف أنه محجوز لمريم لتصلى فيه أو تتعبد.

اقتربت «مريم» من شجرة الورد وسقتها، ووضعت الوعاء، ووقفت تتأمل شجرة الورد التى طالب عودها إلى الضعف فى ليلتين.

وفجأة سمعت «مريم» صوت أقدام تستقر على الأرض.. لم تسمع صوت أقدام تسير.. إنما سمعت صوت أقدام تستقر على الحصى والرمل والتراب.. ملأها الخوف لحظة.. شعرت بأنها ليست وحدها.

التفتت إلى جوارها لم تر شيئا..

ثم بدأت عيناها تتعودان الضوء فشاهدته يقف هناك.

ارتعشت «مريم» ونكست رأسها..

رأت على الأرض خيالا طويلا.. وكان هذا غريبا لدرجة كبيرة، فقد كان واقفا فى ضوء القمر.. ولم يكن وراءه مصباح ليكون هناك خيال.. وقالت «مريم» لنفسها:

من يكون هذا الذى يقف هناك؟

إن النظرة السريعة التى القتها «مريم» على وجهه هى التى أثارت قلقها.. إن وجهه غريب لم تره من قبل، وجبهته مضيئة أكثر من القمر.. ورغم أن عينيه تشعان بالعزة والجلال، فقد كان وجهه كله يعبر عن التواضع العظيم.. وبدأ وجهه فى النظرة السريعة التى القتها عليه «مريم» كوجه رجل عنده عزة من يعبد الله منذ ملايين السنين.

وتساءلت «مريم» فى نفسها عمن يكون.. وكأنما قرأ الغريب أفكارها فقال:

ـ السلام عليكم يامريم

فوجئت مريم أنها أمام صوت بشرى يصدر من إنسان

قالت «مريم» قبل أن ترد عليه السلام:

«انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا» سورة مريم

أرادت أن تحتمى فى الله. وسألته هل هو إنسان طيب يعرف الله ويتقيه.. وابتسم الواقف هناك ابتسامة تقية.

«قال: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا..»

لم يكد الغريب ينتهى من كلمته، حتى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

أضاء المكان بضوء غريب لا يشبه ضوء الشمس ولا ضوء القمر ولا ضوء المصابيح ولا الشموع ولا النار. كان هناك نور شديد الصفاء.. وراح هذا النور يتجمع حول الواقف فى شكل أجنحة راحت تزيد حتى ملأت الأفق حول «مريم» ودارت فى رأس مريم كلماته «إنما أنا رسول ربك».. آه.. هذا سيد الملائكة، الروح الأمين جبريل عليه السلام، وقد تمثل لها بشرا سويا.

رفعت مريم رأسها وهى ترتعش انفعالا.. كان الروح الأمين يقف أمامها فى صورته البشرية.. تأملت مريم صفاء جبهته، ونقاء وجهه، وجلال عينيه.. صدق ظنها.. لديه عزة من يعبد الله ملايين السنين.. ثم تذكرت بقية جملته فجأة.. لقد قال إنه رسول ربها.. وأنه جاء كى يهبها غلاما زكيا.. تذكرت مريم أنها عذراء.. لم يمسسها بشر.. لم تتزوج، ولم يخطبها أحد، ولم يمسسها انسان. كيف تنجب بغير زواج.

دارت هذه الأفكار فى رأس مريم فقالت للروح الأمين:

«أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا..» سورة: آل عمران

قال الروح الأمين:

«كذلك قال ربك.. هو على هين.. ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا..»

استقبل عقل «مريم» كلمات الروح الأمين.. ألم يقل لها إن هذا هو أمر الله.. وكل شىء ينفذ إذا أمر الله.. ثم أى غرابة فى أن تلد بغير أن يمسسها بشر.. لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من غير أب أو أم، لم يكن هناك ذكر وأنثى قبل خلق آدم.. وخلقت حواء من آدم فهى قد خلقت من ذكر بغير أنثى.. ويخلق ابنها من غير أب..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يخلق من انثى بغير ذكر، والعادة أن يخلق الإنسان من ذكر وانثى.. العادة أن يكون له أب وأم، لكن المعجزة تقع عندما يريد الله تعالى أن تقع.

عاد جبريل عليه السلام يتحدث:

«إن الله يبشرك بكلمة منه، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيها فى الدنيا والآخرة، ومن المقربين. ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين». سورة آل عمران.

زادت دهشة مريم.. قبل أن تحمله فى بطنها تعرف اسمه.. وتعرف أنه سيكون وجيها عند الله وعند الناس، وتعرف أنه سيكلم الناس وهو طفل وهو كبير.. وقبل أن يتحرك فم مريم بسؤال آخر.. رأت الروح الأمين يرفع يده ويدفع الهواء فى اتجاه مريم.. وجاءت نفخة الهواء مضيئة بنور لم تره «مريم» من قبل.. وتسلل هذا النور إلى جسد مريم وملأه فجأة.

.....

.....

ولكن بداية الرحلة المثيرة للخيال والجدل.. كانت يوم أن جاءت أطهر خلق الله السيدة مريم تحمله على ذراعيها بعد أن حملت به حملا نورانيا ربانيا لم يتكرر فى الزمان كله.. إلا عندما خلق الله سيدنا آدم من حمأ مسنون ونفخ فيه من روحه..

سيدنا آدم عليه السلام هنا بلا أم وبلا أب ولكن نبينا كلمة الله فى الأرض خرج من رحم أم هى السيدة مريم العذراء..

ولكن أهلها وهم من عائلة الأنبياء والرسل فيهم سيدنا زكريا ومن نسله سيدنا يحيى.. استنكروا فعلتها وقالوا لها: «يامريم لقد جئت شيئا فريا».

فأشارت إليه..

تصوروا معى معنى أن تشير أم إلى وليدها لكى يرد الإثم والخطيئة عنها..

قالوا: كيف نكلم من كان فى المهد صبيا:

«قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا».

وجعلنى مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا..

وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا..

والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا..

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون..

ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون..

.....

.....

كيف كانت بداية الرحلة المقدسة إلى تراب مصر.. ملاذ كل مظلوم وموطن كل حر ومغاث كل ملهوف وباب كل من يطلب الرحمة والعدل والحق والسلام؟

هذا هو دورها فى هذه الدنيا.. وهذا هو قدرها.. ولن تتنازل عنه يوما.. ولم تتنازل عنه يوما ولو كره الحاقدون الكارهون الضالون.

وإلى حديث آخر

السبت المقبل.. ان شاء الله

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية